3

قوة الآخرين الناعمة

تملك الولايات المتحدة مصادر هائلة للقوة الناعمة، وكثيراً ما استخدمتها بفاعلية لتحقيق النتائج التي تريدها. ومع اعتبار دور أميركا القيادي في عصر المعلومات، فإن فرص قوة أميركا الناعمة ستزيد إذا تصرفت أميركا بمهارة. ولكن الولايات المتحدة ليست وحدها. فالآخرون، سواء من البلدان أم من الفاعلين من غير الدول، يملكون أيضاً قوة ناعمة يمكن استخدامها لعرقلة تحقيق أميركا لنتائجها المفضلة.

الاتحاد السوفيتي

في أثناء الحرب الباردة، كان منافس أميركا الأول في مصادر القوة الناعمة هو الاتحاد السوفيتي، الذي انهمك في حملة واسعة لإقناع باقي العالم بجاذبية نظامه الشيوعي. كما هو مذكور في الفصل الأول، لأن الاتحاد السوفيتي قد اجتذب كثيرين في أوروبا بعد عام 1945 بسبب مقاومته لهتلر وفي المناطق المستعْمَرَة مثل إفريقيا وآسيا بسبب معارضته للاستعمار الأوروبي. وكان الوعد المثالي الطوباوي للشيوعية يعجب كثيراً من الناس في أجزاء شتى من العالم، واستخدمت موسكو الأحزابَ الشيوعيةَ المحليةَ لخدمة مصالحها. كما أنفق الاتحاد السوفيتي مليارات على برنامج دبلوماسية عامة فعال كان يشمل الترويج

لثقافته العالمية، وإذاعاته، ونشر المعلومات السلبية عن الغرب، ورعاية الاحتجاجات على الأسلحة النووية، وحركات السلام، ومنظمات الشبيبة.

وأدت معدلات النمو الاقتصادي العالية في أوائل فترة ما بعد الحرب إلى دعم ادعاءات الاتحاد السوفييتي بأنه سوف يسبق الغرب. وعندما زار نيكيتا خروشيف الولايات المتحدة عام 1959، اخذ كثيرون على محمل الجد زعمه بأن الاتحاد السوفييتي سوف يدفن الولايات المتحدة ذات يوم. وكان النجاح الظاهر للاتحاد السوفييتي المخطط لا يقتصر على تزويد السوفييت بالمصادر الصلبة فقط، بل وأيضاً بشيء من مصادر القوة الناعمة كذلك. وأدىّ إطلاق **سبوتنيك**، أول قمر صناعي فضائي، في عام 1957 إلى جعل كثير من الناس في البلدان الأوروبية يعتقدون بأن الاتحاد السوفيتي متقدم على الولايات المتحدة في الفضاء، وأن العلم يحتل مكانةً محترمة في الثقافة السوفييتية أكثر منه في الثقافة الأميركية[1]. ولم تقتصر تبعات هذه الاستثمارات على النواحي العسكرية، ولكنها أيضاً أدت إلى تقدم القوة السوفييتية الناعمة، والمزاعم السوفييتية بأن الشيوعية هي "اشتراكية علمية".

كما وضع الاتحاد السوفييتي تأكيداً كبيراً على إظهار تفوق أنظمته الثقافية والتعليمية. وأنفق مبالغ كبيرة على الفنون. فقد اجتذبت فرق البولشوي وبالية كيروف وسيمفونية الاوركسترا السوفييتية تصفيقاً واسعاً (رغم أن الفن الاشتراكي الواقعي لم يجتذب شيئاً من هذا القبيل). واستثمر السوفييت الشيء الكثير في الألعاب الرياضية، على مدى عقود من الزمن كانت الفرق الأولمبية السوفييتية بميداليات ذهبية أكثر من أميركا في ألعاب الدورات الشتوية، وتحتل المرتبة الثانية في ألعاب الدورات الصيفية. غير أن الثقافة الشعبية كانت قصة تختلف عن ذلك كلياً. فقد كانت الطبيعة

المغلقة للنظام السوفييتي ومحاولته المستمرة لاستبعاد التأثيرات الثقافية البرجوازية تعني أن الاتحاد السوفييتي قد تخلى عن معركة الثقافة الشعبية فلم ينافس التأثير الأميركي العالمي في الأفلام، أو التلفزيون، أو الموسيقى الشعبية. وكما رأينا في الفصل الأخير، فإن الموسيقى والأفلام الأميركية تسربت إلى داخل الاتحاد السوفييتي، ولكن المنتجات السوفييتية المحلية الأصلية لم تجد سوقاً في الخارج على الإطلاق، فلم يكن هناك الفيس بريسلي اشتراكي. أما الجهود التي ترعاها الحكومة، مثل مجلة **سوفييت لايف** (**الحياة السوفييتية**) أو المسلسل التلفزيوني **لغة روسيا وشعبها** فكانت مجرد أصداء خافتة في الصالة الفارغة للثقافة الشعبية. فلم تولّد الثقافة السوفييتية كثيراً من مصادر القوة الناعمة.

وتظهر استطلاعات الرأي في أوروبا الغربية مدى عدم فاعلية السوفييت في توسيع قوتهم الناعمة. فجهودهم لم تفعل شيئاً يذكر لزيادة جاذبيتهم. ففي عام 1950 مثلاً، لم يكن يحمل رأياً طيباً في الاتحاد السوفيتي سوى 32 بالمئة من الإيطاليين، و 24 بالمئة من البريطانيين، و 17 بالمئة من الفرنسيين و 7 بالمئة فقط من الألمان، بينما كانت المعدلات لصالح أميركا أكثر بكثير. وفي عام 1981، كان أصحاب الرأي الطيب في السوفيت هم 21 بالمئة من الإيطاليين، و 12 بالمئة من البريطانيين و 19 بالمئة من الفرنسيين و 8 بالمئة من الألمان. لم ترتفع المعدلات لصالح السوفييت إلاّ في عام 1989 عندما غيرّ ميخائيل غورباتشوف السياسات السوفييتية في آخر الأمر فوضع نهاية للحرب الباردة، وعندئذٍ وصلت معدلات الرأي الطيب إلى 65 بالمئة من صفوف الإيطاليين و 59 بالمئة في صفوف البريطانيين، و 45 بالمئة في صفوف الفرنسيين و 71 بالمئة لافتة للنظر في صفوف الألمان (بالرغم من أن

المعدلات في صالح السوفيت ظلت أقل من التي لصالح الولايات المتحدة)[2]. وقد كان لسياسة غورباتشوف في الانفتاح (**الغلاسنوست**) أثر إيجابي على القوة السوفييتية الناعمة.

وكانت الثقافة السوفيتية جذابة في ميادين العالم والتكنولوجيا، والموسيقى التقليدية الكلاسيكية، والباليه، وألعاب الرياضة، ولكن غياب صادرات الثقافة الشعبية قد حدّ من تأثيرها. وكان هناك ما هو أهم حتى من ذلك، وهو أن الدعاية السوفييتية لم تكن متمشية مع سياساتها. ففي الداخل، أدت الفضائح التي أعقبت القضاء على النزعة الستالينية في عام 1956 إلى الانتقاص من المزاعم السوفييتية، كما انتقص منها تباطؤ النمو الاقتصادي فيما بعد، عندما عجز الاقتصاد المخطط مركزياً عن التمشي مع الأسواق التي راحت مرونتها تتزايد مع تقدم عصر المعلومات. أما في السياسة الخارجية فإن الادعاءات السوفيتية بقيادة القوى التقدمية المعادية للاستعمار كان يكذبها غزو هنغاريا عام 1965 وتشيكوسلوفاكيا عام 1968 وعملية القمع الصارم في بولندا عام 1981. وكان انغلاق النظام، ونقص الثقافة الشعبية الجذابة فيه، وثقل وتواطؤ سياساته الخارجية تعني أن الاتحاد السوفيتي لم يكن قط منافساً جاداً للولايات المتحدة في أثناء الحرب الباردة.

أوروبا

إن أقرب المنافسين الحاليين التصاقاً بالولايات المتحدة في مجال موارد القوة الناعمة هي أوروبا. فقد عملت فنون أوروبا، وآدابها وموسيقاها، وتصاميمها، وأزياؤها، وأطعمتها زمناً طويلاً كقطع مغناطيس ثقافية عالمية جاذبة. وعند أخذ الدول الأوروبية كلاً على حدة، فإن كثيراً منها تملك جاذبية ثقافية قوية: فنصف لغات العالم الأكثر انتشاراً في الكلام أوروبية[3]. فالإسبانية والبرتغالية تربطان

شبه جزيرة إيبريا بأميركا اللاتينية، والإنكليزية هي لغة الولايات المتحدة والكومونويلث الواسع الامتداد، وهناك حوالي خمسين بلداً ناطقاً بالفرنسية تجتمع في قمة كلٍّ ستة أشهر لتناقش السياسات ولتحتفل بمكانتها كبلدان تجمع فيما بينها اللغة الفرنسية. وتنفق فرنسا ما يقرب من مليار دولار سنوياً لنشر الحضارة الفرنسية حول العالم. وعند النظر إليها من سنغافورة البعيدة فإن "قوة فرنسا الناعمة وقد تم الحفاظ عليها بوضوح، بل وزياداتها، في الخمسين عاماً الماضية، بالرغم من أن باريس ربما لم تعد هي العاصمة الفكرية، والثقافية والفلسفية في العالم"[4]. ولكن القوة الناعمة لم ترتكز على استعمال اللغة فقط بل إن إحدى دعاة "القيم الآسيوية"، "وهو رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد، يشير إلى الاهتمامات الجديدة بشأن البيئة وحقوق الإنسان باعتبارها " قيماً أوروبية"[5].

آما من حيث المصادر المحتملة الأخرى للقوة الناعمة، فإن:

- فرنسا تحتل المرتبة الأولى في جوائز نوبل للآداب، وبريطانيا، وألمانيا، وإسبانيا تأتي الثالثة، ورابعة، وخامسة.
- تحتل بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا المرتبات الثانية، والثالثة، والرابعة في جوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء.
- تأتي بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا. (بعد الولايات المتحدة واليابان) في المرتبة الثالثة، والرابعة، والخامسة في مبيعات الموسيقى.
- ألمانيا وبريطانيا المرتبتين الثالثة والرابعة في مبيعات الكتب، والرابعة والخامسة كمضيفتين لمواقع شبكة الإنترنت.
- تتفوق فرنسا على الولايات المتحدة في اجتذاب السياح (ولو أن كتلتهم الراجحة تأتي من جيرانها في أوروبا).
- بريطانيا هي الأولى وألمانيا هي الثانية في اجتذاب ملتمسي اللجوء السياسي.

- العمر المتوقع عند الولادة في كل من فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وبريطانيا، هو أكثر مما هي عليه الحال في أميركا.
- تتفوق جميع البلدان الأوروبية تقريباً على الولايات المتحدة في النسبة المئوية التي تنفقها من إجمالي ناتجها المحلي على مساعدات التنمية في الخارج.
- كرة القدم، رياضة أوروبا الأولى، لها شعبية أكبر بكثير من لعبة كرة القدم الأميركية أو البيسبول.
- الموسيقى الشعبية الأوروبية لها أتباع عالميون.
- الشركات الأوروبية المتعددة الجنسيات لها علامات تجارية معترف باسمها عالمياً.
- بالرغم من أن بريطانيا وفرنسا أصغر بكثير من الولايات المتحدة، فإن كلاً منهما تنفق بقدر ما تنفق أميركا على الدبلوماسية العامة.

وليست هناك دولة أوروبية لوحدها تعمل في منافسة الولايات المتحدة في الحجم، ولكن عند أخذها ككل فإن لدى أوروبا سوقاً يعادل في حجمه السوق الأميركية، وسكاناً أكثر نسبياً. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الاتحاد الأوروبي مركز لتوحيد أوروبا نفسها، يحمل كثيراً من القوة الناعمة. وكان نتيجة استطلاع للآراء آجري في تموز/ يوليو عام 2002 أن الأغلبية من الأميركيين تحمل صورة طيبة عن الاتحاد الأوروبي، الذي يحتل المرتبة الرابعة من حيث تأثيره في العالم، بعد كل من الولايات المتحدة، وبريطانيا، والصين[7]. وإن فكرة كون الحرب الآن شيئاً لا يمكن التفكير فيه بين بلدان ظلت تتناحر بشكل مرير على مدى قرون، وتحول أوروبا إلى جزيرة للسلام والازدهار، تخلق صورة إيجابية عنها في كثير من أنحاء العالم، وفي أواخر الثمانينيات، عندما سُئِلَ الأوروبيون الشرقيون عن البلدان التي يفضلون الاقتداء بها كنماذج

لمستقبلهم من حيث النمو الاقتصادي، والمساواة، والديمقراطية، والحرية الفردية، تفوقت أوروبا الغربية لديهم على الولايات المتحدة وحتى في بولندا الموالية لأميركا، أظهر استطلاع لآراء شباب وارسو عام 1986 أن نصفهم سوف يختار بلداً من بلدان أوروبا الغربية ليعيش فيه إذا أعطي حرية الاختيار، بالمقارنة مع 8 بالمئة سيختارون الولايات المتحدة، وأربعة في المئة سيختارون بلداً اشتراكياً آخر. ولقد تميزت حملات الانتخابات في كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا عام 1989 بشعار "العودة إلى أوروبا"[8].

ومع انتهاء الحرب الباردة، أصبح هدف الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي مغناطيساً جاذباً يعني أن كل منطقة أوروبا الشرقية أخذت توجه نفسها نحو بروكسل. وفي استطلاع للرأي العام عام 1991، كان لدى 75 بالمئة في تشيكوسلوفاكيا رأي طيب في السوق الأوروبية المشتركة (وقال 64 بالمئة إن الولايات ذات أثر طيب)[9]. وقامت الدول الحديثة التحرر بتعديل قوانينها وسياساتها المحلية كي تتمشى مع المقاييس الأوروبية الغربية. وكان من المفارقات الساخرة في عام 2003 أن نسبة الناس الذين يعتبرون الاتحاد الأوروبي جذاباً في البلدان الثلاثة عشرة المرشحة لعضويته (وهي 5 بالمئة) كانت أعلى من نسبة المواطنين في البلدان الخمسة عشرة الأعضاء نفسها (حيث لم تزد على 47 بالمئة)[10]. وقد كتب المؤرخ تيموثي غارتون آش أن "قوة أوروبا الناعمة تبرزها حقيقة أن الرغبة في دخولها لا تقتصر على ملايين الأفراد فقط، بل تشمل أيضاً دولاً بكاملها، كتركيا مثلاً"[11] ففي تركيا، جعلت الرغبةُ في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي الحكومة تسن قانوناً صعباً يقلص دور العسكريين في السياسة ويحسّن سجل تركيا في قضايا حقوق الإنسان.

ولهذا السبب فإن محاولات وزير الدفاع دونالد رامسفيلد في أثناء الحرب على العراق لتقسيم "أوروبا إلى قديمة وجديدة" كانت خرقاء وجائرة وثقيلة الوطأة. وبينما تستمر أميركا في التمتع بمخزون من النوايا الحسنة في أوروبا الشرقية باقٍ من أيام معارضتها للاتحاد السوفييتي في أثناء الحرب الباردة، فإن استطلاعات الرأي تظهر أن الأوروبيين الشرقيين يرون مستقبلهم مرتبطاً مع الاتحاد الأوروبي، ولا يرغبون في الاضطرار إلى الاختيار بين أوروبا والولايات المتحدة. ويعرف الاتحاد الأوروبي أنه يمسك بورقة القوة الناعمة هذه، وقد استخدمها للحصول على نتائج السياسة التي يفضلها. وعلى سبيل المثال، فعندما اتصل الرئيس بوش بالزعماء الأوروبيين في كانون الأول/ ديسمبر عام 2002 ليحثهم على قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي، اعتبروا اتصالاته خدعةً وراءها غاية أميركية أنانية لإقناع تركيا بتأييد الولايات المتحدة بشأن العراق، وقالوا لبوش إن ذلك القرار سيكون أوروبياً محضاً[12].

ومما يقاس عليه بروز قوة أوروبا الناعمة الرأي القائل بأنها قوة إيجابية لحل مشكلات عالمية. ففي أعقاب الحرب على العراق، أعطى الأوروبيون الشرقيون والأتراكُ الاتحادَ الأوروبيَّ علامات أعلى من أميركا في مجال لعب دور إيجابي بشأن قضايا متنوعة تتراوح بين مكافحة الإرهاب إلى تخفيض الفقر إلى حماية البيئة. وبالرغم من أن كثيراً من الزعماء الأوربيين الشرقيين أيدوا الحرب التي قادتها الولايات المتحدة، فإن مواطنيهم كانوا يشعرون أن الاتحاد يلعب دوراً أكثر إيجابيةً من أميركا في شتى القضايا العابرة للقومية[13]. واستنتج شيرلي وليامز، أحد الزعماء السياسيين البريطانيين، أن "قوة أوروبا العسكرية، "قوتها الصلبة". قد تكون مبعث سخرية كما ألمح دونالد

رامسفيلد. ولكن "قوتها الناعمة"... هائلة حقاً"[14]. وتعترف الغالبية العظمة بذلك أيضاً: فحوالي تسعة من كل عشرة يوافقون على أن الاتحاد الأوروبي يمكنه أن يساعد في حل المشاكل العالمية عن طريق الدبلوماسية، والتجارة، والمساعدات الإنمائية، حتى ولو لم تكن لها قوة أميركا العسكرية[15].

وبالطبع، فإن أوروبا لا تزال تواجه عدداً من المشاكل، كما أظهرت انقساماتها بشأن العراق. فهي موجودة بشأن التجارة، والسياسة المالية، والزراعة، وبشكل متزايد حول حقوق الإنسان والقوانين الجنائية. وهي تسعى للحصول على دستور أقوى سيخلق رئاسة ووزيراً للخارجية. ولكن عندما يوجد خلاف، فإن سياسات الخارجية والدفاع سوف تبقى فعلياً بأيدي الحكومات الوطنية. فالمال والمدافع، وهي بالدرجة الأولى تحت سيطرة الدول الأعضاء وعلاوة على ذلك، فإن العقبات البيروقراطية وأسواق العمل الجامدة قد تعيق النمو الاقتصادي السريع، كما أن الاتجاهات السكانية الديمغرافية ليست مؤاتية. فإذا لم يتغير شيء، فإن متوسط الأعمار سيكون 52 عاماً بحلول عام 2050 (وسيكون 35 عاماً في الولايات المتحدة). ومع توجه السكان نحو الشيخوخة، وتناقص أعدادهم، ستضطر أوروبا إلى قبول أعداد متزايدة من المهاجرين (وذلك صعب سياسياً) أو إلى القبول بأن الشيخوخة وقلة عدد السكان سيقلصان تأثيرها في القضايا الدولية. وكما قال أحد المختصين بالشؤون السكانية، فإن الأوروبيين "يشيخون في عالم يصبح أكثر فتوة. في اقتصاد معولم، فإنهم لم يشاركوا في الطاقة والحيوية التي تأتي مع سكان أكثر فتوة"[16].

وفي الوقت نفسه، فإن كثيراً من السياسات الأوروبية المحلية تعجب السكان الشباب في الديمقراطيات الحديثة. وعلى سبيل المثال،

فإن السياسات الأوروبية بخصوص عقوبة الإعدام، والسيطرة على تجارة الأسلحة، والتغييرات المناخية، وحقوق الشاذين جنسياً قد تكون أي أقرب من سياسات الحكومة الأميركية إلى آراء كثير من الشباب في البلدان الغنية حول العالم. والدستور الجديد لجنوب إفريقيا فيه شبه من الميثاق الأوروبي لحقوق الإنسان أكثر من تشابهه مع لائحة الحقوق الأميركية. ويشير فريد شاور، الخبير بشؤون التعديل الأول للدستور الأميركي، إلى أنه " في قضايا حرية الكلام، وحرية الصحافة، والمساواة مثلاً، تعد الولايات المتحدة ممثلة لموقف متطرف، سواء في درجة حمايتها القانونية لسوء سلوك الصحافة وللكلام العنصري وغيره من أشكال كلام الكراهية، أم في عدم استعدادها لمعاملة العمل الايجابي القائم على أساس عنصري باعتباره مسموحاً به بصراحة من الناحية الدستورية"[17]. ومن المثير للاهتمام أيضاً أن السوابق الأوروبية صار يُسْتَشْهَدُ بها الآن في القانون الأميركي. وعندما أصدرت المحكمة العليا حكمها في قضية لورانس ضد تكساس فيما يتعلق بالخصوصية الجنسية في عام 2003، استشهد رأي الأكثرية لأول مرة بقرار صادر في عام 1981 عن المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان.

وفي السياسات الاقتصادية أيضاً، فإنه بالرغم من أن كثيراً من الناس معجبون بنجاح الاقتصاد الأميركي، فليسوا جميعاً يمجدونه كنموذج وقدوة للبلدان الأخرى. ذلك أن بعضهم يفضلون النهج الأوروبي، حيث تلعب الحكومة دوراً في الاقتصاد اكبر مما تفعل حكومة الولايات المتحدة. وشبكات الأمان الاجتماعي والنقابات في أوروبا أقوى منها في الولايات المتحدة، كما أن أسواق العمل الأوروبية أكثر تنظيماً. أما المواقف الثقافية، وقوانين الإفلاس، والهياكل المالية. فهي في أميركا تحابي رجال الأعمال المبادرين أكثر مما تفعل مثيلاتها

الأوروبية. ولكن كثيراً من الأوروبيين يعترضون على كلفة المستويات العالية من عدم المساواة وانعدام الأمن الناجمين عن اعتماد أميركا أكثر منهم على قوى السوق. وأميركا أفضل من أوروبا في خلق فرص العمل، فمعدل البطالة فيها أقل من نصف المعدل في ألمانيا. وتستنتج **الإيكونوميست** "أن فكرة كون الاقتصاد الأميركي يقف على قمة العالم مشكوك فيها، كما أن أميركا عرضة للانتقاد لأن عدم المساواة في المداخيل فيها أوسع"[18]. ذلك أن العشرة في المائة من الناس الأقل حصة في توزيع الدخل الأميركي كانوا في المرتبة الثالثة عشرة فقط من أخفض معدل للدخل عند مقارنتهم بالناس الفقراء نسبياً في الإقتصادات المتقدمة الأخرى. فقد احتل كثير من الأوروبيين مرتبة أعلى. كما أن تفوق الأداء الأميركي في خلق فرص العمل لا يكفي وحده لجعل اقتصاد أميركا أكثر جاذبية من الاقتصاد الأوروبي[19]. وعلى سبيل المثال، ففي استطلاع عام 1991 المشار إليه آنفاً قالت الأغلبيات في بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، وهنغاريا، وبلغاريا، إن الديمقراطية الاجتماعية على غرار نظام السويد هي الأكثر ملاءمة لبلدانها[20].

وبالإضافة إلى ثقافة أوروبا وسياساتها المحلية الجذابة، فإنها تستمد قوة ناعمة أيضاً من سياساتها الخارجية التي كثيراً ما تسهم في المصالح العامة العالمية. وبالطبع، ليست كل سياسات أوروبا الخارجية بعيدة النظر - كما تشهد على ذلك السياسة الحمائية في مجال الزراعة المشتركة، التي تضر بمزارعي البلدان الفقيرة - أي أكثر من أربعة إضعاف ما تقدمه الولايات المتحدة. كما أن لأوروبا عشرة إضعاف ما لأميركا من القوات المشاركة في عمليات حفظ السلام التي تشرف عليها المنظمات متعددة الأطراف، كالأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي[21]. وقد اتخذت فرنسا مؤخراً موقفاً قيادياً فبادرت بإرسال

بعثة إلى الكونغو. وفي عام 2003، كان لألمانيا وفرنسا ضعف ما لأميركا من القوات في كوسوفو. أما في أفغانستان، فإن الأوربيين العاملين عن طريق حلف شمال الأطلسي تولوا مسؤولية قوة الأمن الدولية.

وكان احتمال الأحجام عن المهمات الصعبة في بناء الأمم أقل لدى الأوروبيين، وهي مهمات تجنبتها أميركا أول الأمر تحت حكم إدارة بوش. والأوربيون بطرق عديدة أكثر خبرة وراحة من الأميركيين في نشر مواردهم المدنية التي تعزز القوة الناعمة. وقد جادل وزير خارجية بريطانيا جاك سترو بأن "خبرة أوروبا في ممارسة الفن الحاذق المحنك للقوة الناعمة قد تثبت أنها شيء لا يمكن الاستغناء عنه في إعادة إعمار العراق. إن الاتحاد الأوروبي يميل إلى ممارسة نفوذه في الخارج عن طريق تشجيع الديمقراطية والتنمية من خلال التجارة والمساعدات. وكانت النتائج مثيرة للإعجاب في أوروبا الوسطى والشرقية"[22].

وفي السنوات الأخيرة كان الأوروبيون أكثر راحة وخبرة من الأميركيين في استخدام المؤسسات متعددة الأطراف. وهذا يعكس في جزء منه خبراتهم في تطوير الاتحاد الأوروبي، وفي الجزء الآخر مصلحتهم الذاتية في البحث عن قيود متعددة الأطراف على القوة العظمى الوحيدة في العالم. ولكن مهما يكن السبب، ففي عالم يتعرض فيه التفرد الأحادي الجانب للنقد القاسي، فإن النزوع الأوروبي إلى تعدد الأطراف يجعل سياسات البلدان الأوروبية جذابة لكثير من البلدان الأخرى. فقد استخدم الأوروبيون قوتهم الناعمة في مؤسسات متعددة الأطراف لحرمان الولايات المتحدة من تأثيرات مثل هذا الدعم في اكتساب الشرعية. وكما رأينا في الفصل الأول، فقد تمكنت فرنسا من إيجاد تحالف جابهَ القوة الأميركية الناعمة بمنع مجلس الأمن من اتخاذ قرار ثانٍ من قبل الحرب على العراق. وكما أشار المحلل

السياسي أندرو مورافيتش، فإنه "في بلد بعد بلد أظهرت الاستطلاعات انه لو اتخذ مجلس الأمن قراراً ثانياً لأدى ذلك إلى جعل الرأي العام يميل بنسبة 30 - 40 بالمائة نحو تأييد العمل العسكري[23]. وبدلا من ذلك، اضطرت الولايات المتحدة إلى دفع ثمن أعلى مما هو ضروري للحرب، سواء من قوتها الناعمة أم بالتكاليف اللاحقة لحفظ الأمن البوليسي في العراق وإعادة إعماره.

إن تفصيل الأوربيين للتعاون المتعدد الأطراف قد ولّد بعض الحالات من النجاح زادت قوة أوروبا الناعمة، وقوتها الاقتصادية كذلك. فبعد بداية متعثرة، فإن الاتحاد المالي لشركات أوروبية لبناء "الباص الجوي" تفوق على شركات بوينغ الأميركية ليصبح أكبر مصنّع للطائرات التجارية الضخمة البعيدة المدى في العالم. وفي صناعة الهاتف المتنقل، اتفقت الحكومات الأوروبية على مقياس تنظيمي وحيد، وهو GSM منذ عام 1987، بينما استخدم الأميركيون نهجاً تحركه السوق كي تتيح ظهور مقياسٍ مّا وسيادته. فكانت النتيجة أن طورت أوروبا بنيةً تحتيةً أقوى مما لدى الولايات المتحدة واستطاعت أن تسيطر على سوق الاتصالات اللاسلكية في تسعينيات القرن العشرين[24]. وسيكون هناك اختبار للنهج الأوروبي في المستقبل، هو نظام غاليلو للملاحة العالمية بواسطة الأقمار الصناعية، وهو الرد الأوروبي على نظام تحديد المواقع العالمي المبني في الولايات المتحدة. بالرغم من أن البيروقراطية المفرطة قد تعيق النهج الأوروبي، فإن القدرة على العمل التعاوني في مشاريع كبيرة للبنية التحتية للمعلومات تعمل كمصالحة عالمية عامة يمكنها أن تزيد قوة أوروبا الناعمة، وقوتها الاقتصادية كذلك.

كما أن الأوروبيين يستثمرون أكثر في دبلوماسيتهم العامة، كما سنرى في الفصل التالي. فلديهم تقليد أقدم، وهم ينفقون أكثر، ولا

سيما في مجال العلاقات الثقافية الدولية، وهو مجال تنفق فيه فرنسا مبلغاً أعلى عن كل رأس، أي أكثر من 17 دولاراً، أي أكثر من أربعة إضعاف ما تنفقه كندا التي تليها رتبة؛ وتحتل بريطانيا والسويد المرتبتين الثالثة والرابعة. وبالمقارنة، فإن المبلغ الذي تنفقه وزارة الخارجية الأميركية على تمويل البرامج الثقافية الدولية لا يزيد على 65 سنتاً فقط لكل رأس[25]. وبالإضافة إلى ذلك، راحت البلدان الأوروبية تزيد جهودها للحصول على طلبة لمدارسها وجامعاتها من باقي أنحاء العالم.

والقوة الأوروبية الناعمة يمكن أن لا يقتصر استخدامها على مجابهة القوة الأميركية الناعمة ورفع كلفة الأعمال أحادية الجانب فحسب، بل يمكن أن تكون أيضاً مصدر مساعدة وتعزيز للقوة الأميركية الناعمة، وزيادة احتمال تحقيق الولايات المتحدة لأغراضها. فالقوة الناعمة يمكن اقتسامها واستعمالها بطريقة تعاونية. فالتشجيع الأوروبي للديمقراطية وحقوق الإنسان يساعد على تقديم القيم المشتركة التمشية مع الأهداف الأميركية. فالمتطرفون الإسلاميون في القاعدة يقاتلون ضد القيم الغربية، لا ضد القيم الأميركية فقط، والدبلوماسية العامة الأوروبية التي تجابه جاذبيتهم مفيدة للولايات المتحدة.

وكثيراً ما كان الزعماء السياسيون الفرنسيون يتحدثون عن خلق ميزان للقوى متعدد الأطراف، ولكن كثيراً من الأوروبيين يرون أن مثل هذه الأحلام غير واقعية في الوضع العالمي الراهن. ويدرك معظم الأوروبيين أن الدبلوماسية المتعددة الأطراف ممكنة حتى دون توازن عسكري متعدد الأطراف، وسيكونون سعداء لاقتسام قوتهم الناعمة مع الولايات المتحدة إذا كنا أكثر ميلاً للمشاورة في نهجنا. وكما أوضح مراقب بريطاني متعاطف في أثناء الحرب على العراق: "كانت هناك تناقضات تسبب الجنون طيلة الوقت في قلب عملية التدمير المقصودة

لنظام الأمن الدولي في أثناء الشهور القليلة الماضية فالسعي الأميركي لتفوق لا يقيده شيء محكوم عليه بالفشل المحتوم؛ إذْ إن أمن أميركا وازدهارها يعتمدان على تأثيرها السياسي بقدر اعتمادها على جبروتها العسكري. فقد كانت الولايات المتحدة قوية لأنها كانت محط إعجاب"[26]. وبكلمات أخرى، فإن مدى كون نمو القوة الأوروبية الناعمة رصيداً للولايات المتحدة أو عبئاً عليها يعتمد على السياسات الأميركية، ويرتكز كثيراً جداً على خيارات أميركا نفسها. فالقوة الأوروبية الناعمة يمكن استخدامها لمساعدة الولايات المتحدة أو للإضرار بها، وذلك يعتمد على طريقة سلوك أميركا.

آسيا

وتملك البلدان الآسيوية أيضاً مصادر محتملة مثيرة للإعجاب في مجال القوة الناعمة. ذلك أن فنون ثقافات آسيا القديمة وأزياءها، ومطابخها كان لها من قبْلُ تأثير قوي على أجزاء العالم الآخر طيلة قرون. ولكن آسيا مرت أيضاً بفترة انحطاط نسبيّ وتخلفت وراء الأمم الأوروبية التي مرت بعصر الثورة الصناعية فأدى ذلك إلى تقليص تأثير آسيا وقد قدّر بنك التنمية الآسيوي أنه بداية العصر الصناعي عام 1820 كانت آسيا تمثل ثلاثة أخماس الإنتاج العالمي. وبحلول عام 1940 كن هذا القدر قد هبط إلى الخمس. بالرغم من أن آسيا كانت موطناً لثلاثة أخماس سكان العالم. غير أن النمو الاقتصادي السريع في آسيا قد أعاد المقدار إلى الخُمسين اليوم. ويتكهن المصرف المذكور بأن آسيا تستطيع العودة إلى مستوياتها التاريخية عند حلول العام 2025 [27]. ففي العقدين الأخيرين من القرن العشرين كان لدى الصين، أكبر بلد آسيوي، معدلات نمو سنوي عالية من 7٪ إلى 9٪، مما

أدى إلى مضاعفة إجمالي ناتجها الوطني إلى ثلاثة إضعاف، بطريقة لافتة للنظر، وتعزيز سمعتها وقوتها الناعمة. ومع ذلك فحتى الصين لا يزال أمامها شوط طويل. وهي تواجه عقبات كثيرة تعرقل تنميتها. وعند بداية القرن الحادي والعشرين، كان الاقتصاد الأميركي أكثر من ضعف حجم الصين، وكما لاحظ كاتب عمود صحفي في سنغافورة، فإنه "عندما يأتي الأمر إلى القوة الناعمة، فسوف تستغرق الصين وقتاً أطول بكثير قبل أن يصبح لها تأثير قريب مما تتمتع به الولايات المتحدة الآن"[28].

وفي خمسينيات القرن العشرين، كان ذكر آسيا يستدعي صوراً من الفقر والمجاعة. ومرت فترة قصيرة نسبياً من العشق السياسي لدى بعضهم في الغرب لجاكيتات نهرو وثورة ماو وكما قال جون لينون في إحدى أغانيه في أوج أيام الحركة المعادية للحرب: "إنك إذا حملت صوراً للزعيم ماو، فإنك لن تنجح في إقناع أحد على أية حال"[29]. وقد بدأ صعود آسيا الحقيقي مع النجاح الاقتصادي لليابان. وكثيراً ما يشير الآسيويون إلى صورة طيور الوز وهي تحلق في تشكيل لوصف الطريقة التي تقوم بها بلدان آسيوية صغيرة مثل سنغافورة وكورية الجنوبية، وماليزيا، وغيرها باتباع استراتيجية اليابان بشكل وثيق لاستهداف الصناعات الاستراتيجية لتحقيق التنمية، وتمويل مشاريع كبرى، والتصدير بقوة هجومية، وحماية صناعاتها الناشئة. وكان أحد مخططي ماليزيا الاقتصاديين قد لاحظ أن "تجربة اليابان في إعادة البناء بعد الحرب، والطريقة التي جعلت بها العمال والإداريين يتعاونون، وجعلت الاقتصاد ينمو بقفزات متسارعة، تبدو لنا آسيوية جدا. فلها صلة بمجتمعنا أكثر بكثير من تجربة الغرب"[30]. وقد ازداد دخل الفرد الشخصي في اليابان من 20٪ من المستوى الأميركي في

خمسينيات القرن العشرين إلى 75 ٪ عند نهاية القرن. وهذا أداء رائع لافت للنظر لم يقتصر على جعل اليابانيين أغنياء فحسب، بل عزّز أيضاً قوةَ بلدهم الناعمة.

وساعدت المعجزة الاقتصادية الآسيوية على دعم آيديولوجية آسيوية للقيم كثيراً ما كانت ذريعة ملائمة للزعماء المستبدين للحفاظ على الاستقرار السياسي. وعلى سبيل المثال فإن ماليزيا، وسنغافورة، وأندونيسيا قاومت الضغط الهادف إلى مزيد من الديمقراطية وحقوق الإنسان بحجة أن الغرب يحاول فرض قيم غريبة تنحاز إلى الحقوق الفردية على حضارة قديمة تعطي القيمة العليا لرفاهية المجتمع ككل. وصارت القيم الآسيوية توكيداً لهوية إقليمية للأمم بدأت في نشر عضلاتها الاقتصادية وتطوير أنظمتها السياسية الخاصة بها[31]. ولكن بعد الأزمة الاقتصادية الآسيوية عام 1997 وما تبعها من تباطؤ النمو في كثير من بلدان المنطقة، راحت ترتفع أصوات مسموعة أخرى. فذكرت **النيويورك تايمز** أن "هناك صراعاً بطيئاً ويومياً بين التقليديين من الحرس القديم – جماعة القيم الآسيوية السابقين – والمتمردين الداعين إلى مجتمع منفتح، الآخذين بتطوير نسخة محلية من القيم الغربية"[32]. فنماذج الشركات الآسيوية كانت ترتكز بشكل ثقيل على علاقات عائلية وارتباطات مع الحكومة كتيمة غير مكشوفة للآخرين الذين هم خارجها. ولكن كما لاحظت **الإيكونوميست**، فإن "انعدام الشفافية يكلف أموالاً، لأن المستثمرين الأجانب الذين ليس لديهم ثقة يطالبون بعوائد أعلى. وكل البلدان الآسيوية تتلهف على عباءة الاحترام الدولي، من عضوية نادي منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية إلى مجد استضافة الألعاب الاولمبية أو كأس العالم"[33]. وقد كانت المعجزة الاقتصادية الآسيوية حقيقية وظلت زمناً تولد قوة ناعمة للبلدان الناجحة، ولكن عندما وقعت في المتاعب في

تسعينيات القرن العشرين، فقدت القدرة على إدامة الأسطورة التي دعمتها أو التي نجمت عن القيم الآسيوية.

واليابان لديها مصادر محتملة للقوة الناعمة أكثر من أي بد آسيوي آخر. فهي أول بلد غير غربي استطاع أن يقوم بالتحديث الكامل إلى درجة التساوي مع الغرب في الدخل والتكنولوجيا مع إثبات إمكانية الحفاظ على ثقافة فريدة من نوعها. فاليابان اليوم تحتل

- ... المرتبة الأولى في العالم في براءة الاختراع.
- ... المرتبة الثالثة في النسبة المئوية من إجمالي الإنتاج المحلي التي تنفقها على البحث والتطوير والتنمية.
- ... الثالثة في الأسفار الجوية الدولية.
- ... المرتبة الثانية في مبيعات الكتب والموسيقى.
- ... المرتبة الثانية في عدد مضيفي شبكة الانترنت.
- ... المرتبة الثانية في صادرات التقانة العليا.
- ... المرتبة الأولى في تقديم المساعدات الإنمائية.
- ... المرتبة الأولى في طول حياة الإنسان المتوقعة[34].

واليابان موطن لثلاث من أهم 25 ماركة تجارية متعددة الجنسيات، هي تويوتا، وهوندا، وسوني[35]. وفي ثمانينيات القرن العشرين استمدت اليابان قوة ناعمة لا يستهان بها من براعتها التصنيعية. ولاحظ الكاتب دوغلاس ماكفري آن " كبار الموظفين التنفيذيين في الشركات الأميركية، في بحثهم عن معلومات إرشادية عن كل شيء في اليابان، من "الدواتر النوعية" إلى إدارة عمليات الجرد "في الوقت المناسب تماماً"، راحوا يشترون أكداساً من الكتب حول الأساليب الفنية للإدارة في اليابان"[36].

غير أن سمعة اليابان في البراعة الاقتصادية الفائقة فقدت بريقها بسبب بطء حركة اقتصادها لمدة عشر سنوات في تسعينيات القرن العشرين، ولكن ذلك لم يؤدِّ إلى محو مصادر قوتها الناعمة. وقد كتب ماكفري: "بدلاً من الانهيار تحت وطأة المحن السياسية والاقتصادية، فإن تأثير اليابان الثقافي العالمي راح يتنامى. والواقع أن اليابان لديها الآن تأثير ثقافي يمتد من الموسيقى الشعبية إلى المنتجات الاستهلاكية الإليكترونية، ومن الهندسة المعمارية إلى الأزياء، ومن الأطعمة إلى الفنون أكبر مما كان عليه في ثمانينيات القرن العشرين، عندما كانت قوة اقتصادية عظمى"[37].

فالمصنعون اليابانيون يتحكمون بالموقع في ألعاب الفيديو المنزلية. وقد ظلت الصور اليابانية تسيطر على أحلام الأطفال بشكل جاهز تماماً على مدى الأعوام الخمسة الماضية بخليط من الجاذبية والقوة. فمسلسلات بوكيمون الكرتونية تذاع في 65 بلداً. والصور المتحركة اليابانية لها شعبية كبرى عند صانعي الأفلام وعند المراهقين الأميركيين. كما أن أسلوبها قد فاض ليشمل اتجاهات فن التصميم الأميركي كذلك[38]. وقد ظلت ثقافة اليابان الشعبية تنتج مصادر محتملة للقوة الناعمة حتى بعد أن تباطأت حركة اقتصادها.

وليست جاذبية الثقافة اليابانية قاصرة على موسيقاها الشعبية. إذ إن فنون اليابان التقليدية، وتصميمها، ومطبخها تجد أتباعاً خارج بلادها منذ زمن طويل. فالمؤلفون من أمثال كينزابورو أوي الفائز بجائزة نوبل لديهم جمهور دولي واسع. وفي مجال الأفلام يعتبر آكيرا كوروساوا واحداً من المخرجين العظام في كل الأزمنة، كما أن سيجي أوزاوا، المدير السابق لفرقة بوسطن السيمفونية، يحظى بشهرة واسعة في مجال الموسيقى الكلاسيكية. وتستفيد اليابان أيضاً من الجاذبية الثقافية لطرقها الروحية التقليدية كالمذهب البوذي والفنون العسكرية.

ولكن هناك حدود لقوة اليابان الناعمة أيضاً. فعلى عكس ألمانيا، التي تبرأت من عدوانها الماضي وتصالحت مع جيرانها في إطار الاتحاد الأوروبي، فإن اليابان لم تتصالح بشكل كامل مع سجلها في العدوان الخارجي في ثلاثينيات القرن العشرين. فرواسب الشك الباقي المتخلفة في البلدان كالصين وكوريا تضع حدوداً لقوة اليابان الناعمة. وتتمتع اليابان الآن بإعجاب كامل من جيرانها الآسيويين. فقد جرى استطلاع في عام 1996 بطرح سؤال حول الملامح الجذابة في الثقافة اليابانية، فأظهر 72 بالمئة من الصينيين أنهم مهتمون بالأدوات المنزلية اليابانية، و61 بالمئة تركز اهتمامهم على أسلوبها في إدارة الأعمال، وأن المهتمين بالتلفزيون الياباني كانوا 11 بالمئة فقط، بينما اهتم 5 بالمئة بالموسيقى اليابانية و 7 بالمئة بطراز الحياة اليابانية[39]. وبالمثل فقد أظهر استطلاع أجرته مجلة نيوزويك الأسبوعية الأميركية عام 2001 أن 65 بالمئة من الأميركيين يجدون اليابان "مثيرة للإعجاب" بينما كان هناك 27 بالمئة فقط يعتقدون أن اليابانيين "متغطرسون". ولم يكن هناك سوى 34 بالمئة من الكوريين الجنوبيين يجدون أن اليابان مثيرة للإعجاب، بينما اعتبر 59 بالمئة منهم اليابانيين متغطرسين[40].

ومثل أوروبا تواجه اليابان تحديات سكانية خطيرة. فعند حلول منتصف القرن الحادي والعشرين قد يتقلص عدد سكان اليابان بنسبة 30 بالمئة، إلاّ إذا اجتذبت 17 مليون مهاجر، وهذه مهمة صعبة في بلد ظل تاريخياً يقاوم الهجرة. وعلاوة على ذلك، فإن التكلم باللغة اليابانية ليس واسع الانتشار، والمهارات اليابانية باللغة الإنكليزية تحتل واحدة "من أسوأ المراتب في آسيا، مما يجعل اجتذاب مواهب دولية إلى جامعاتها عملية صعبة"[41]. كما أن اللجنة التي شكلها رئيس الوزراء الياباني مؤخراً للبحث في تحديد أهداف اليابان في القرن الحادي

والعشرين قد دعت إلى إعادة اختراع اليابان[42]. ومع ضعف العملية السياسية، والحاجة إلى مزيد من إلغاء القيود والتنظيمات، وشيخوخة السكان، ومقاومة الهجرة، فإن إجراء مثل هذا التغيير لن يكون سهلاً. وقد يستغرق استكماله أكثر من عقد من الزمن[43]. ولكن مع سجل اليابان لإعادة اختراع نفسها في الماضي مرتين - بعد ثورة الميجي في القرن التاسع عشر، وبعد الحرب العالمية الثانية - إضافة إلى مهارات الشعب الياباني غير المتناقصة، واستقرار المجتمع، ومجالات القيادة التكنولوجية (مثل تطبيقات الإنترنت المتنقلة)، والمهارات التصنيعية، فإن ذلك التغيير ليس مستحيلاً.

وقبل عقد من الزمن، كان بعض المراقبين يعتقدون أن التعاون الوثيق بين الحكومة والصناعة في اليابان سيعطيها مكانة قيادية للقوة الناعمة في عصر المعلومات. فاليابان تستطيع أن تطور قدرة على التلاعب بالتصورات الإدراكية بشكل فوري في جميع أنحاء العالم و"تدمير التصورات التي تعيق الازدهار الاقتصادي الياباني وقبولها ثقافياً"[44]. فعندما قامت مؤسسة ماتسوشيما بشراء شركة الأفلام الأميركية MCA، قال رئيسها إنه لن يتم إنتاج أفلام تنتقد اليابان[45]. وحاولت أجهزة الإعلام اليابانية أن تجد طريقها لدخول الأسواق العالمية، وبدأت شبكة تلفزيون NHK التي تملكها الحكومة بإذاعة برامج بالإنكليزية عن طريق الأقمار الصناعية. غير أن هذا المشروع قد فشل، حيث كانت تقارير NHK تبدو متخلفة وراء المنظمات الإخبارية التجارية، فاضطرت الشبكة إلى الاعتماد في محتوياتها على الـ CNN والـ ABC الأميركيتين[46]. ولا يعني هذا أن اليابان تنقصها مصادر القوة الناعمة[47]. ولكن ثقافة اليابان موجهة إلى الداخل أكثر بكثير من الثقافة الأميركية، وعدم استعادة حكومتها للتعامل بصراحة مع

تاريخ ثلاثينيات القرن العشرين يستمر في الحدّ من قدرتها على تحويل تلك المصادر إلى قوة ناعمة، بمعنى الحصول على نتائج السياسة التي ترغب فيها.

وفي مجال أبعد في المستقبل، تلوح كل من الصين والهند كاثنين من عمالقة آسيا. وهناك علامات على التوسع في مصادر قوتهما الناعمة. ففي عام 2000، فاز القاص الصيني غاو كسينغجيان على أول جائزة نوبل في الأدب، وبعد ذلك بعام تبعه الكاتب الهندي في المهجر، ف. س. نيبول. وفي حزيران/ يونيو عام 1997، خصصت **النيويوركر** عدداً كاملاً لقصص من تأليف كتّاب هنود. وأصبح فلم **النمر الرابض، التنين المختبئ**، أعلى الأفلام غير الناطقة بالإنكليزية دخلاً. وكانت أفلام هندية مثل **الزواج الموسمي** ناجحة في شباك التذاكر في الولايات المتحدة[48]. كما أن ياو مينغ، النجم الصيني لفريق صواريخ هيوستن لرابطة كرة السلة الوطنية، يمكن أن يصبح مايكل جوردان آخر، والصين مستعدة لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية الصيفية عام 2008. ثم إن استثمار الصين في الرحلات الفضائية المأهولة بالبشر يساعد أيضاً على زيادة نفوذها وجاذبيتها. أما مجموعات المهاجرين الكبيرة في الولايات المتحدة - وهي مكونة من 4.2 مليون صيني و 7.1 مليون هندي - فقد زادت من اهتمام الأميركيين بوطنَيْها الأصليَّيْن. وعلاوة على ذلك، فإن الاتصالات وثيقة في صناعة المعلومات، إذ إن شركات التقانة العليا الأميركية تستخدم المنتسبين إلى بنغالور أو تشيناي بشكل متزايد لتقديم خدمات حقيقية هنا.

ولكن الوعد الحقيقي للصين والهند ينتظرهما في المستقبل. فالنمو الاقتصادي السريع يحتمل أن يزيد قوة البلدين الصلبة والناعمة على حد سواء. أما الآن، فليس أي من هذين البلدين في مرتبة عالية

على قائمة مختلف مؤشرات المصادر المحتملة للقوة الناعمة التي تملكها كل من الولايات المتحدة، وأوروبا، واليابان. وبينما تعطي الثقافةُ شيئاً من القوة الناعمة، فإن السياسات والقيم المحلية تضع حدوداً، ولاسيما في الصين حيث يخشى الحزب الشيوعية الصيني من السماح بحرية فكرية أكثر من اللازم، ويقاوم التأثيرات الخارجية. وللبلدين كليهما سمعة بوجود فساد كبير في حكومتيهما. صحيح أن الهند تستفيد من السياسة الديمقراطية، ولكنها مع ذلك تعاني من حكومة مفرطة البيروقراطية. كما أن إحياء التطرف الهندوسي وقتل مسلمين في كوجرات قد لوث سمعتها الديمقراطية. وفي السياسة الخارجية أيضاً، تعاني سمعة البلدين من مشاكل صراعات مزمنة، حول تايوان وكشمير على التوالي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن جاذبية الصين المستبدة يحدّ منها في أميركا القلق من أنها قد تصبح تهديداً في وقتٍ مّا في المستقبل. فالقوة الناعمة للبلدان الآسيوية يحتمل أن تزيد في المستقبل، ولكنها في هذه المرحلة متخلفة في مصادر القوة الناعمة وراء الولايات المتحدة وأوروبا.

وبالطبع فإن هناك بلداناً أصغر في آسيا ومناطق أخرى تتمتع بقوة ناعمة كذلك. فكوريا الجنوبية وتايلاند تجتذبان الآخرين عن طريق تقدمهما الاقتصادي والديمقراطي. بل لقد اكتشفت تايلاند أن الأجانب يحبون الأطعمة التايلاندية، فوضعت حكومتها نصب عينيها هدف تعزيز المطاعم التايلاندية في الخارج كطريقة "ذكية ضمنية تساعد على تعميق العلاقات مع البلدان الأخرى"[49]. فالقوة الناعمة متاحة لكل البلدان. وكثير من البلدان تستثمر في طرق استخدام مصادر القوة الناعمة كي "تضرب بأكثر من وزنها" في السياسة الدولية. وكما رأينا في الفصل الأول، فقد وسعت النرويج جاذبيتها

بسياسات بارعة حتى في أثناء قيامها خارج الاتحاد الأوروبي. وعلى مدى عقود من الزمن، ظلت أكثر البلدان الأوروبية تمتعاً بثقة الآخرين هي البلدان الصغيرة كسويسرا واسكندنافيا ومجموعة البنيلوكس[50]. وبالنسبة لبلدان كثيرة فإن أفكار كندا الدستورية "كانت مؤثرة بشكل غير متناسب، بل ربما أكثر تأثيراً من الأفكار الدستورية الأميركية"[51]. ثم إن جنوب إفريقيا محط إعجاب بسبب تقدمها في التغلب على الفصل العنصري بطريقة سلمية. والبرازيل تُبْرِزُ جاذبية معنية من ثقافتها الناضجة ووعدها في المستقبل. فالبلدان الأصغر والأضعف، حتى رغم أنها لا تملك مصادر قوة شاملة تضاهي أكبر البلدان، تستطيع أن تشكل تحديات أكبر مما قد يوحي به حجمها العسكري. وليست الدول وحدها هي القادرة على تشكيل مثل ذلك التحدي.

الفاعلون من غير الدول

لقد تميز عصر المعلومات لدور ذي أهمية آخذة بالتزايد للفاعلين من غير الدول على المسرح الدولي. فالمنظمات الخاصة تعبر الحدود الوطنية بصورة متزايدة. وليس هذا جديداً بأكمله، ولكن ثورة المعلومات أدت إلى زيادة كبيرة ومفاجئة في حجمها ونطاقها في السنوات الأخيرة، مع ارتفاع عدد المنظمات غير الحكومية من ستة آلاف إلى ما يقرب من ستة وعشرين ألفاً أثناء تسعينيات القرن العشرين وحدها. بل إن الأرقام لا تخبرنا بالقصة كلها، لأنها تمثل المنظمات والمؤسسات بشكل رسمي فقط[52].

وتدعي منظمات غير حكومية كثيرة أنها تعمل باعتبارها "ضميراً عالمياً" تمثل مصلحة عامة واسعة تتجاوز نطاق فرادى الدول. فهي تطور معايير جديدة بصورة مباشرة بالضغط على الحكومات ورجال

الأعمال القياديّين لتغيير السياسات، وبصورة غير مباشرة بتغيير التصورات العامة لما ينبغي على الحكومات والمؤسسات أن تفعله. أما من حيث مصدر القوة، فإن هذه المجموعات الجديدة نادراً ما تملك الكثير من القوة الصلبة (مع أن من الجدير بالملاحظة أن ميزانية مجموعة السلام الأخضر في عام 2001 كانت 175 مليون دولار، بالمقارنة مع ميزانية منظمة التجارة العالمية المتعددة الحكومات في عضويتها، والتي لم تزد على 90 مليوناً). وعلى أي حال، فإن ثورة المعلومات قد وسعت كثيراً القوة الناعمة للمنظمات غير الحكومية[53]. بما أن المنظمات غير الحكومية قادرة على اجتذاب الأتباع، يتعين على الحكومات أن تأخذها في الحسبان سواء كحلفاء أم كخصوم ومن وجهة النظر الأميركية، فإنه من الجدير بالملاحظة أن بروكسل، ولندن، وباريس تتقدم على واشنطن ونيويورك كمدن مضيفة للمنظمات الدولية غير الحكومية[54].

ثم إن الزيادة لم تقتصر على الاتصالات العابرة للقومية، بل شملت أيضاً عدد أنواع هذه المنظمات. فقبل بضعة عقود، كانت المنظمات البيروقراطية الكبيرة ذات الميزانيات الضخمة الثقيلة كالشركات متعددة الجنسيات والكنيسة الرومانية الكاثوليكية هي أكثر نمط نموذجي معروف للمنظمة عابرة القومية. فالقوة الناعمة لأسماء علامات الشركات التجارية ظلت معروفةً طيلة عقود من الزمن. ومثل هذه المنظمات تبقى مهمة، ولكن الكلفة المخفضة في عصر الإنترنت قد فتحت المجال لشبكات المنظمات الفضفاضة ذات الموظفين القليلين في مقر قياداتها، بل وللأفراد. وهذا جزء من دمقرطة التكنولوجيا التي ناقشناها في الفصل الأول. إن هذه المنظمات غير الحكومية والشبكات المرنة فعالة بشكل خاص في افتراق الدول دون مراعاة

الحدود. وبما أن مثل هذه الشبكات كثيراً ما تضم مواطنين ذوي مكانة مرموقة في السياسة المحلية لدول عديدة، فإنها قادرة على تركيز انتباه أجهزة الإعلام والحكومات على قضاياها. فهي تخلق نمطاً جديداً من الائتلافات السياسية عابرة القومية. وعلى سبيل المثال، فإن الائتلاف بحظر الألغام الأرضية قد جمع معاً منظمات غير حكومية، ومشاهير، وسياسة في بلدان كثيرة.

وثورة المعلومات تجعل الدول أكثر مساميّة. فإن الحكومات مضطرة الآن إلى اقتسام المسرح مع ممثلين قادرين على استخدام المعلومات لتعزيز قوتهم الناعمة، والضغط على الحكومات بصورة مباشرة، أو غير مباشرة لحشد جمهورها وتعبئته. ونظراً لقوة كتاب الافتتاحيات ذوي المصداقية والملقنين القادرين على تلمس طريقهم وسط شلال من المعلومات المتاحة في عصر الإنترنت، فإن الطريقة التقريبية لقياس الأهمية المتزايدة للمنظمات الدولية هي النظرة إلى عدد مرات ورود ذكر هذه المنظمات في مطبوعات الاتجاه الرئيس السائد في وسائل الإعلام. فحسب هذه المقاييس، أصبحت المنظمات غير الحكومية لاعبة راسخة الأدوار في معركة كسب اهتمام المحررين ذوي النفوذ المباشر. وعلى سبيل المثال، فبعد قيام منظمة مراقبة حقوق الإنسان بإصدار **تقريرها العالمي لعام** 2003، الذي تضمن نقداً قومياً للحكومة الأميركية على طريقة إدارتها للحرب على الإرهاب. ظهرت مقالات في 228 صحيفة ومجلة على امتداد الأيام العشرة التالية تذكر تلك المنظمة[55].

وعلى مدى العقد الماضي، كانت التغطية الإخبارية تعكس نمو هذا القطاع العام، زاد استخدام اصطلاح "المنظمات غير الحكومية" سبعة عشر ضعفاً منذ عام 1992. وهذه الزيادات المضاعفة لورود الذكر

لأجهزة إعلام المجرى الرئيس السائد لم تقتصر على منظمة مراقبة حقوق الإنسان، بل تعرضت لها أيضاً منظمات غير حكومية أخرى مثل منظمة العفو الدولية، ولجنة الصليب الأحمر الدولية، والسلام الأخضر، وأطباء بلا حدود، ومنظمة الشفاء الدولية.

ففي عصر المعلومات، فإن الحكومات التي تريد أن ترى نمواً اقتصادياً سريعاً تجد أنها لم تعد قادرة على إبقاء الحواجز قائمة في وجه تدفق المعلومات، وهي الحواجز التي كانت تاريخياً تحمي المسؤولين من النظرات الخارجية الفاحصة. فحتى البلدان الكبيرة ذات القوة الصلبة، كالولايات المتحدة، تقع تحت هذا التأثير. وعلى سبيل المثال فإن حملة قامت بها المنظمات غير الحكومية قد ساعدت على إسقاط اتفاقية مقترحة لاستثمار متعدد الأطراف في أواخر تسعينيات القرن العشرين، واستخدمت تلك المنتظماتُ الإنترنت للتخطيط لتعطيل مؤتمر قمة منظمة التجارة العالمية عام 1999 الذي صار يُعْرَفُ باسم "معركة سياتل". وقد عارض البنتاغون معاهدة لتحريم الألغام الأرضية، ولكن ائتلافاً مختلطاً من منظمات قائمة على أساس الإنترنت، تعمل مع حكومات متوسطة القوى مثل كندا، وسياسيين فرديين ومشاهير مرموقين مثل الأميرة ديانا، استطاع أن يخرج المعاهدة إلى حيز الوجود في عام 1997. وهناك مثال آخر هو مصادقة أعضاء منظمة الصحة العالمية المئة واثنين وتسعين اتفاقية إطار السيطرة على تجارة التبغ في أيار/ مايو عام 2003. فقد كانت لدى الولايات المتحدة في بادئ الأمر اعتراضات قوية على المعاهدة، ولكنها أسقطتها في مواجهة موجة من الانتقاد الدولي[56].

ومن الاستعمالات الآسرة في الإنترنت في التلويح الناجح للقوة الناعمة حالة سياسة المجتمعات المهاجرة في بلدان الاغتراب، ويلاحظ ديفيد بولييه، الخبير في تأثير التقنيات الرقمية، "أن الإنترنت كانت

هدية من السماء لمثل هؤلاء السكان لأنها تمكن أعداداً كبيرة من الناس المنعزلين جغرافياً والذين لهم تاريخ مشترك أن ينظموا أنفسهم في مجتمعات افتراضية كبيرة"[57]. فالإنترنيت مكنهم من تقديم أفكار جذابة بديلة لتلك الموجودة في وطنهم الأصلي. كما أن ارتباطات الإنترنيت بين الرعايا الأجانب والمواطنين المحللين قد ساعدت على إشعال احتجاجات في بكين ضد المشاغبات المعادية للصين التي كانت تحدث في إندونيسيا في عام 1998. فالشعور بالإحباط لدى الصينيين الذين يعيشون في إندونيسيا تم نقله إلى بكين بسرعة لافتة للنظر. وبالمثل، كانت الانترنيت حساسة الأهمية في نشر أخبار عن أفعال الحكومة أثناء انتخابات كانت مثار نزاع ومطاعن.

ومن بين الأمثلة على مجموعة مغتربين استخدمت الانترنت وغيرها من مصادر الإعلام بطريقة فعالة للتأثير على النتائج السياسية في موطنها الأصلي مجموعة المغتربين الغانيّين. ففي انتخابات عام 2000، وهي أول فرصة حقيقية للغانيين كي يغيروا حكومتهم من خلال وسائل ديمقراطية، كانت شبكة المغتربين حساسة الأهمية في حشد الدعم والأموال لمرشح المعارضة. فقامت الشبكات المجتمعية الجاهزة على الخط (Online) مثل مجموعة غانا للضبط الرقمي، المؤسسة في نيويورك عام 1999 بتعبئة الغانيين المغتربين في الولايات المتحدة في حملة هجومية لتغيير النظام في غانا. ففي عام 2000 تم تشجيع أعضاء هذه المجموعة على "إيجاد كل وسيلة (كالبريد الإلكتروني، والهواتف... إلخ) للاتصال مع أسرهم في الوطن كي يخرجوا من بيوتهم للتصويت في الانتخابات الوطنية. وقد أعادت هذه المجموعة تركيز مهمتها الآن على اجتذاب معونات إنمائية لغانا، وهي منشغلة حالياً في عملية إقامة شبكة بين المغتربين الغانيين الذين يبلغ

تعدادهم مليونين ونصف مليون كي يزيدوا تدفق رؤوس الأموال إلى وطنهم الأم[58].

وكثيراً ما تكون الشركات عابرة القومية هدفاً لأنشطة المنظمات غير الحكومية، كالحملات ضد الشركات التي تدفع أجوراً منخفضة للعمال في البلدان الفقيرة، "لفضحها بأسمائها ووصمها بالعار". وهي حملات تنجح أحياناً لأنها تستطيع أن تشكل تهديداً ذا مصداقية بحرمان الشركات من القوة الناعمة لأسماء علاماتها التجارية العالمية النفيسة. فعندما اعتزمت شركة شلّ أن تتخلص من منصة برنت سبار للحفر في أعماق المحيط التي قيل بأنها ستلوث مياهه، نظمت منظمة السلام الأخضر حملة مقاطعة أرغمت شل على اختيار تفكيك تلك المنصة على الشاطئ، وهو اختيار أبهظ كلفة. وكان من العجيب أنه عندما تكشف للناس فيما بعد أن نية شل الأصلية كانت أفضل للبيئة، تضررت سمعة السلام الأخضر وقتها الناعمة. وعلى أية حال، فقد قررت شل أن عليها أن تزيد انتباهها للمنظمات غير الحكومية: كما أعلنت الشركة مؤخراً أنها لن تحفر في آية بقع تعتبرها اليونسكو مواقع تراث عالمي. وجاء هذا القرار بعد عامين من خضوع شل لضغط المختصين بالبيئة وشطب خططها للحفر في موقع تراث عالمي في بنغلاديش[59]. وقد اضطرت شركات الأدوية عابرة القومية، تحت ضغط العار الذي وصمتها به المنظمات غير الحكومية، إلى التخلي عن دعاواها القضائية في جنوب إفريقيا حول الاعتداءات على براءات اختراعها المسجلة لأدوية مرض الإيدز في عام 2002، لأن **الفايننشال تايمز** ذكرت أن "مطالبة الشركات التجارية الكبرى بتحمل مسؤولية اجتماعية أكبر صارت مطالبة ارتفع صوتها أكثر، وأصبحت أفضل تنظيماً وأكثر شعبية وأدت حملات مماثلة لفضح الأسماء والوصم

بالعار إلى التأثير على أنماط الاستثمار والتوظيف في ماتيل، ونايق وشركات كثيرة أخرى.

وتختلف المنظمات غير الحكومية اختلافاً هائلاً في تنظيمها، وميزانياتها، وخضوع أعضائها للمساءلة، وشعورها بالمسؤولية عن دقة مزاعمها. وبحسب ذلك تتفاوت قوتها الناعمة. فبعض المنظمات غير الحكومية أكثر مصداقية وتمتعاً بالثقة من الحكومات، وبعضها ليس كذلك. وعلى وجه العموم، فقد أظهر استطلاع حديث في أوروبا أن 42 بالمئة من الأوروبيين يميلون إلى الثقة بالمنظمات غير الحكومية، بينما أعرب 36 بالمئة عن عدم ثقتهم بها. غير أن عدد غير الواثقين بها قد زاد على عدد الواثقين في بريطانيا وألمانيا"[60]. وهكذا فإن هناك مبالغة مفرطة في تسمية بعض النشطاء لهذه المنظمات "القوة العالمية العظمى الأخرى". ولكن الحكومات تعرّض نفسها للخطر إذا تجاهلتها في الوقت ذاته. ذلك أن لبعضها سمعة ومصداقية تعطيانها نفوذاً سياسياً مثيراً للإعجاب على الصعيدين المحلي والعالمي. وهناك منظمات غير حكومية أخرى قد تفتقر إلى المصداقية في صفوف المواطنين المعتدلين، ولكن لديها مهارات في التنظيم والاتصالات تتيح لها أن تحشد مظاهرات لا تستطيع الحكومات أن تتجاهلها. فليس هناك اجتماعات دولية يمكن التخطيط لها اليوم دون أخذ احتمال المظاهرات في الحسبان، إلاّ فيما ندر. وسواء كان ذلك جيداً أم سيئاً، فإن المنظمات غير الحكومية ومنظمات شبكة الإنترنت تملك مصادر قوة ناعمة، ولا تتردد في استخدامها.

وعلى مدى قرون، ظلت الحركات الدينية المنظمة تمتلك قوة ناعمة. فالكنيسة الرومانية الكاثوليكية منظمة على نطاق عالمي، ويتمسك كثير من الكاثوليك بتعاليمها حول قضايا مثل ضبط عدد

الولادات، والإجهاض، تمسكاً ناجماً عن الجاذبية، لا عن الإرغام. وهناك منظمات دينية أخرى - من بينها بروتستانتية، وإسلامية، وبوذية - لها جهود تبشيرية مستفيضة اجتذبت ملايين الناس للتمسك بتعاليمها، ولا سيما في أميركا اللاتينية وإفريقيا في العقود الأخيرة من الزمن. ولكن كما رأينا في الفصل السابق، فإن المنظمات الدينية غير المتسامحة يمكن أن تنفّر، وأن تجذب كذلك. وفي بعض الظروف، فإن التبشير الهجومي يمكن أن يدمر القوة الناعمة بدلاً من أن يخلقها.

إن المنظمات الحكومية الدولية، مثل هيئة الأمم المتحدة أو منظمة التجارة العالمية، تستطيع أيضاً أن تطور قوةً ناعمة. وعلى وجه الدقة، فإنها من صنع الدول التي شكلتها، ولكن الدبلوماسية ضمن المنظمات المختلفة تكتسب مميزات تعكس الإجراءات والثقافة الفريدة من نوعها لكل منظمة. وهكذا فإن سمعة الأمم المتحدة مثلاً دون مقارنة التناقض بين أدوار الجمعية العامة (بخطبها البليغة الطنانة) ومجلس الأمن (بحقوق الفيتو)، وكذلك الإذعان لمراعاة التجمعات الإقليمية، مما ينتج انحرافات ضارة مثل ترؤس ليبيا للجنة حقوق الإنسان. كما أن شخصية الأمين العام وبراعته يمكن أن تؤثر على سمعة المنظمة. فكوفي عنان، مثل البابا، ليس تحت إمرته قوات، ولكن شعبيته ومكانته تضمنان انتباه الناس لتصريحاته. وليست الأمم المتحدة مصدر الشرعية الوحيد في السياسة العالمية. ولكن طابعها العالمي الشامل، وإطارها القانوني، وجاذبيتها النسبية تضفي على تصويتاتها وإعلاناتها درجةً كبيرة من الشرعية. وإن سمعة الأمم المتحدة، وبالتالي قوتها الناعمة، عرضة للتأثر بالأحداث السياسية المتغيرة. وعلى سبيل المثال، فإن قرار أميركا بدخول الحرب على العراق دون قرار ثانٍ من مجلس الأمن قد أضر بسمعة الأمم المتحدة وسمعة أميركا كذلك، وجعل

أغلبيات في 19 بلداً استطلعت الآراء فيها تقول إن الأمم المتحدة لم تعد لها أهميتها السابقة في معالجة الصراعات الدولية[61]. ومن جهة أخرى، فإن أكثر من ثلثي سكان الولايات المتحدة وأوروبا ظلوا يعطون الأمم المتحدة مكانة مفضلة بعد تلك الحرب[62]. وظلت السمعة العامة للأمم المتحدة تتذبذب متقلبةً على مدى السنين. فالثقة بالأمم المتحدة في أوروبا بعد الحرب على العراق هي دون مستوى الثقة بها عام 2002، ولكنها تظل مضاهية لما كانت عليه في تسعينيات القرن العشرين. أما في الولايات المتحدة، فإن معدلات التقدير الشامل للأمم قد قفزت عائدة إلى مستويات ما كانت عليه قبل الحرب، بعد فترة هبوط قصيرة. بل إن معدلات تحبيذ عمل الأمم المتحدة عند الأميركيين كانت في الواقع أقل في الثمانينيات من معدلات ما قبل الحرب على العراق (28 بالمائة عام 1985؛ و38 بالمائة في آذار/ مارس عام 2003) ووصلت إلى أخفض نقطة تاريخية لها في أثناء الحرب الكورية (23 بالمائة في أيار/ مايو عام 1951)[63]. ومع مرور الزمن فإن جاذبية الأمم المتحدة ومصادر قوتها الناعمة تختلف وتتفاوت، ولها حدودها، ولكن الحكومات لا تستطيع تجاهلها دون دفع ثمن لذلك التجاهل.

ثم إن القوة الناعمة قد تلتصق بمنظمات وشبكات ذات حقد وضغينة. فالقوة الناعمة تعتمد على جمهور مستعد للتلقي حتى ولو كانت عين الناظر شريرة. فالمنظمات الإرهابية عابرة القومية مثل القاعدة قد تكون منفرة لغالبية العالم، ولكن من الواضح أنها جذابة لبعض المتطرفين. وإذا كان الاتحاد السوفييتي والشيوعية قد قدما أخطر التحديات للولايات المتحدة في مجال القوة الناعمة في أثناء الحرب الباردة، فإن أخطر التحديات اليوم تأتي من المنظمات والعقيدة

الآيديولوجية الإسلامية المتشددة. ومن سخرية القدر أن سيد قطب، الشخصية الفكرية المهمة للإسلاميين المتشددين، كان أخاً مسلماً عاش فترة قصيرة في الولايات المتحدة فأثار اشمئزازه ما اعتبره انعدام المعنى في الحياة الأميركية[64]. وكما لوحظ آنفاً، فإن الثقافة الجذابة لكثيرين قد تكون منفرة للبعض.

وقد حظي نشوء التشدد الإسلامي بمساعدة كبيرة من الدولة في المملكة العربية السعودية، حيث وافقت العائلة المالكة على نشر المذهب الوهابي كوسيلة لاسترضاء رجال الدين، وبذلك اشترت "شرعيتها السياسية على حساب الاستقرار في أماكن أخرى"[65]. وبما أن تمويل المؤسسات يأتي من وزارات الحكومة ومن الصداقات الخاصة كذلك، فإن تقدير النفقات الكلية مستحيل عملياً. وقد شهد أحد الخبراء أمام الكونغرس بأن ... قد أنفقوا ما يقرب من 70 مليار دولار على مشاريع المساعدات منذ سبعينيات القرن العشرين. وذكر آخرون أن رعايتهم تشمل 1500 مسجد و2000 مدرسة في جميع أنحاء العالم، من إندونيسيا إلى فرنسا[66]. وهذه المؤسسات كثيراً ما تزيح مؤسسات أكثر منها اعتدالاً وأضعف تمويلاً تنشر تفسيرات للإسلام أكثر اعتدالاً[67]. وحتى لو كانت هذه الأرقام غير صحيحة، فإن جزءاً من هذه الدولارات يتضاءل أمامه ما أنفقته الولايات المتحدة على دبلوماسيتها العامة في العالم الإسلامي.

ومن سخرية القدر أن القوة الناعمة لم تثبت أنها مصدر تستطيع الحكومة السعودية أن تسيطر عليه أو تستخدمه للحصول على نتائج

مؤاتية. وبدلاً من ذلك فقد كانت مثل تلميذ الساحر الذي عاد ليعذّب مدربه الأصلي ويفسد عمله.

وقد تم الإمساك بلقطة من هذا الوضع عن طريق استطلاع أجري في بلدان غالبيتها الساحقة من المسلمين بعد فترة قصيرة من الحرب على العراق. فقالت مجموعات من الناس في إندونيسيا، والأردن، وباكستان، والمغرب، والسلطة الفلسطينية إن لديهم كثيراً من الثقة أو شيئاً من الثقة في أن أسامة بن لادن يعمل الشيء الصحيح فيما يتعلق بالشؤون الدولية. وفي تلك البلدان نفسها، كان للأغلبيات الساحقة ثقة بابن لادن أكثر من ثقتهم بجورج ووكر بوش وطوني بلير. وبالرغم من أنه ليس عجيباً أن تكون لدى كثير من المسلمين مشاعر عن بوش و بلير في أعقاب الحرب على بلد مسلم، فإن حقيقة كون ابن لادن يوحي بالثقة قد بعثت برسالة واضحة إلى الأميركيين عن القوة الناعمة لعدوهم اللدود. وقد كثرت الأدلة والحكايات في خريف عام 2001، في أعقاب 9/11 عندما جاءت تقارير من إفريقيا بأن "أسامة" صار اسماً للأولاد الذكور له شعبية، وتقارير من باكستان بأن القمصان القطنية التي تحمل عبارات تمجد ابن لادن قد راجت مبيعاتها جيداً. ولعل ذلك كان في جزء منه تنويعاً على الأساطير التقليدية عن روبن هود بين الفقراء والمحرومين. ولكنه يمثل أيضاً اتجاهات أعمق في الرأي العام الإسلامي. وبما أن الحرب على الإرهاب تنطوي على حرب أهلية بين المعتدلين والمتشددين ضمن الحضارة الإسلامية، فإن قوة الإسلاميين الناعمة هي ظاهرة مقلقة وإنذار للأميركيين وغيرهم بأن يجدوا طرقاً أفضل لعرض قوة ناعمة لتقوية المعتدلين. وتستطيع المعابد النصرانية

واليهودية المعتدلة أن تؤدي دوراً مع المسلمين المعتدلين. فإبراهيم شخصية تبجّلها الديانات الثلاثة كلها، وهكذا فإن حواراً إبراهيمياً بين المسلمين، والنصارى، واليهود قد يكون مثالاً للطرق التي يستطيع الفاعلون غير الحكوميين أن يمار سوا بها قوتهم الناعمة ويخلقوا جسوراً من التفاهم.

إن الولايات المتحدة هي القوة العسكرية العظمى الوحيدة في العالم. وهي تبقى أيضاً أقوى بلد في العالم من حيث القوة الاقتصادية والناعمة، ولكن أميركا ليست لها سيطرة في هذين الميدانيين تقرب ولو من بعيد من سيطرتها في المجال العسكري. فاتجاهات عصر المعلومات وانتشار الديمقراطية ينبغي أن تستفيد منهما القوة الأميركية الناعمة. ولكنها أيضاً ستفيد أوروبا وبلداناً أخرى قادرة على التكيف للأحوال الجديدة. غير أن ما يثير المشاكل بصورة أكبر هو أن اتجاهات عصر المعلومات سوف تزيد القوة الناعمة للفاعلين من غير الدول، الصالح منهم والطالح. ولكي تكون الولايات المتحدة على مستوى عالم تتزايد فيه قوة الآخرين الناعمة، فإنه يتعين عليها أن تستثمر أكثر في مصادر قوتها الناعمة، وأن تتعلم كيف تنجح في استخدام هذه القوة بصورة أكثر فاعلية.